مع غزّة

صفاء خلف

لننظُر إلى شوارع العالَم وجامعاته

تقف هذه الزاوية مع مبدع عربي في أيام العدوان على غزّة، وكيف أثّر على انتاجه وحياته اليومية، وبعض ما يودّ مشاركته مع القرّاء. «لو كانت الكتابةُ سلاحاً غير فعّال لما انفكّ الصهاينةُ يقتلون مثقّفي فلسطين»، يقول الشاعر والباحث العراقي

سلافة ظاظا (الزوج) ـ العربي الجديد

■ ما الهاجس الذي يشغلك هذه الأيام في ظلّ ما يجري من عدوانٍ إبادةٍ على غزّة؟

ثمّة هواجس كثيرة، صعوداً ونزولاً مع كل هجمة وحشيّة يشنّها جيش الاحتلال، وإثر كلّ مجزرة تُرتكب وتُمحَى بسببها أحياء وعائلات وأبرياء وذاكرة مكان وصمود هويّة على مدى ثمانية عقود من الصبر. هاجس البقاء هو الأقوى، الإبادة هي المحو. وفي غزّة ثمّة محوان: محوٌ خبيث؛ بربرية مُفرطةٌ لاقتلاع غزّة، فإن مُحيت أرض وناس، مُحيت كلّ القضية الصامدة وحقّ العودة... ومحوٌ حميد؛ فالضمير الإنساني العالمي مُجبٍ أيضاً، منذ فجر النهضة العربية الجديدة في بدايات القرن الماضي، حمَّلْنا أنفسَنا ملامة التخلّف الحضاري، واعتنقنا كلّ غرائب الرجل الأبيض. بعد قرن ونيّف، اكتشفنا أنّ الدمّ العربي أرخص من أيّ لائحة حقوق إنسان لا تسري على أهل غزّة وفلسطين. لكنّه محوٌ يؤسّس لمنظومة عدالة جديدة قائمة على فضح الجريمة وجُناتها، وردّ الاعتبار للضحايا وذاكرتهم. فلننظر إلى شوارع الكوكب وجامعاته.

■ كيف أثّر العدوان على حياتك اليومية والإبداعية؟

قبل حرب الإبادة الصهيونية الجديدة على غزّة وأهلها منذ تشرين الأوّل/ أكتوبر 2023، كان الدفاع عن فلسطين ترفاً، وكأنّك تُضحّي بكلّ الفرص إن صار موقفك مناهضاً للكيان المُحتلّ، حتّى بات التطبيعُ حرفةً من بطليوس النّشر والشُهْرة، والثَّمنُ دمُ فلسطين. العُدوان كشف هشاشة الثقافة العربية ومُدّعيها، سلَّمهم مُسلوخين إلى ذاكرتنا. بالمقابل؛ الأثر الأكبر على الحياة اليومية والإبداعية، ثنائية المُساءلة والتعايش. مُساءلة جدوى ما نكتب في سياق قتل يومي مُعلن على الهواء مُباشَرة، واعتياد المجزرة كسياق لـ«التعايش»، قد تكون اللحظة الماثلة مُتخمةً بالشواهد على الجرائم الصهيونية، الشاشات مملوءة بالشهود موتى وأحياء. لكن ماذا عن الذاكرة؟

هناك مرارة، احتقارٌ هائلٌ للزمن. العجز المُركّب المُخزي الكامن في الصمت. غالبية تصمتُ لتعاتش لا لتتعايش. وهنا، تشعر بفداحة ما اقترفته من إيمان بفلسطين. أن تؤمن ولا تُعلن. أن تُعلن ولا تشقّ الأرض إلى غزّة. وفي قاع العجز، ثمّة من ينتقص من موازرتك لأهل غزّة هاشم. غزّة تُفسدُ حسابات الوظيفة والولاء وبطاقة الإقامة لمن يكمن مشغلوهم في دول التطبيع. صداقاتٌ كثيرةٌ أودت بها غزّة غير مأسوف عليها.

■ إلى أي درجة تشعر أن العمل الإبداعي ممكنٌ وفعّال في مواجهة حرب الإبادة التي يقوم بها النظام الصهيوني في فلسطين اليوم؟

منذ 43 عاماً، ثمّة نصٌّ للفرنسي جان جينيه يقطع الزّمن كشاهد على «صبرا وشاتيلا»، كمثال لجدوى الكتابة في مواجهة المجزرة، وبالمقابل، ثمّة من يسلخ فتات ما تبقّى من ضميره وغزّة تشتعل، ليُصبح مُديراً لمعهد فرنسي يُناهض حقّ غزّة في الحياة. تلك هي المساحةُ الخانقةُ بأن تكون شاهداً على شراهتين، القتل والمصالح.

كلّ نضال وفوهة وخطاب وقبضة يد مرفوعة إلى فلسطين

غزّة تُفسدُ حسابات الوظيفة والولاء وبطاقة الإقامة

الكتابة الإبداعية هي التي تفضح. الكتابةُ ضدّ المحو، ضدّ بقاء أسماء الشُهَداء أرقاماً، ضدّ اعتبار الأرض رملاً سَيّالة بلا شعب. بالتالي، الكتابةُ أبداً كان نوعها، هي أثر. لو كانت الكتابةُ سلاحاً غير فعّال، لما انفكّ الصهاينةُ يقتلون مثقّفي فلسطين.

التدوين وثيقة. والكيانُ المُحتلّ تكمن عداوته ضدّ التوثيق. الحجرُ الذي رفعهُ إدوارد سعيد يوماً كرمزية واثقة لإثبات حقّ مقاومة أهل فلسطين للعدوّ الغاشم، إنّما هو حجرٌ بالكتابة والتوثيق والتدوين. وما قطعة الأرض التي تقبّضَ عليها اليَدُ المقاومةُ إلّا رمزاً لقدرة الكتابة الإبداعية على مواجهة الغُدوان والإبادة والاحتلال والتطبيع.

■ لو قُيّض لك البدء من جديد، هل ستختار المجال الإبداعي أو مجالاً آخر، كالعمل السياسي أو النضالي أو الإنساني؟

الكتابةُ نِضال. لولا أنها تحوّلت في زمن التطبيع المُخزي الذي نتعايش معه مُرغمين إلى ارتزاق. ثمّ إننا كمشرقيّين، وكعالميّين نُبدأ كلّ يوم من جديد. هل نملك رفاهية الاستقرار؟ هل نشأنا في حياة صَخية تؤهّلنا لأن نحظى ببداية ناعمة ونهاية مجيدة؟ ندخلُ إلى العالَم مُفخّخين بالوحدة، والغضَب وروح الثأر تستوطن ناراً أفرغها غياب العدالة فينا. نحنُ نقتَصّ يومياً من ضحايا تستعمرُ مجتمعاتنا، وتستولي مُسبقاً على مستقبلنا، وبالتالي، الحياة في منطقتنا المشرقيّة هي نضالٌ مستمرّ. نضالٌ ضدّ نصال. لستُ قدرياً، بقدر ما أجد أنّ فكرة البدء من جديد وكأنّها محوٌ وإفراغ، وأنا ضدّ المحو. من يُمحَى لا يبدأ. الا تبدو محاولة محو غزّة لنسيانها؟ لكن؛ قد تصحّ الفكرة رُواقياً. بالخبرة المُكتسبة عبر المشوار والتراكم، أجدني بادئاً من جديد، مُحمّلاً بالنَّصح والنّجرية والعيون المفتوحة.

■ ما هو التغيير الذي تنتظره أو تريده في العالم؟

العالَمُ لا يُغيّرُ نفسه. وهنا، أجدني ماركسيّاً في اعتناق فكرة العمل. من يطلبُ التغيير عليه أن يؤهّل نفسه أوّلاً، والتأهيل، أن نُعمّر أنفسنا بالأدوات الجديدة والمُستدامة التي تُسلمنا من مرحلة إلى لاحقتها، فيولد التغيير بملء الإرادة والعمل، أو بحدٍّ أدنى من المنفعة، وهي الخبرة والنُّضج. العالَمُ ليس بحراً فيَاضاً بأشرعة بيضاء حَتّى يمنح الصيّادين سمكاً حُلواً. بل هو اللُّجّة الغاضبة الصاخبة. وشخصيّاً عوّدت نفسي ألّا انتظر. خرجتُ من القرية وحيداً وأعزل و«حُرّاً إلى فكرة»، وشاكستُ الحياة وشاكستني. أذاقتني مرارات، فكافأت نفسي بالعمل. فـ«النوارس التي خفقتْ وجْهَ البحر، لا تهَبْ خبرتها للرِّيح»، هكذا قلت في مجموعتي الشعرية الأخيرة «قريباً من السطح عميقاً في الهواء». فكرتي الخالدة عن الحياة في مواجهة العالم: أن أُحافظ على حُرّيتي، وأدافع بقسوة الصبر عن فرادتيّتي.

■ شخصية إبداعية مقاومة من الماضي تودّ لقاءها، وماذا ستقول لها؟

النّاسُ جميعهم مُقاومون على طرائقَ مُختلفة. وكلّ مقاوم له ميزتهُ التي ترفعهُ عن سواه. ولا حاجة إلى لقاء مُقاوم من الماضي. ألا نُعتبَر جميعاً مقاومين منذ سقوط منارة العالم المُنحضر بابل (539 قبل الميلاد) على يد الأخمينيّين، وراهناً منذ نشأة «النهضة العربية» وبُنيان أنظمة ما بعد الكولونيالية. نحنُ المشرقيّون، جنوب الأرض، مقاومون بطبيعتنا، نظراً للراهن الصعب الذي لا ينقضي طلباً لعدالة غائبة وحُرية معتقلة منذ صيحة علي بن محمد وثورة الزنج في البصرة، واستعمار متراكم منذ سقوط بغداد العبّاسية مغولياً، وسقوطها ثانياً أميركياً. خطٌّ طويلٌ من مجتمعات مُقاومة، حتّى حلّت النكبة الأعظم، ضياع أرض فلسطين التاريخية في 1948، وما شكّله من صدمة مأساة همّشت المنطقة وإنسانها، فتحوّلت كلّ وجهة نضال، وفوهة، وخطاب، وقبضة يد مرفوعة إلى فلسطين. فالماضي في حياتنا، راهنٌ مُستمرٌّ لم ينقطع. وأهل فلسطين اليوم هم رفعة العمل المُقاوم.

■ كلمة تقولها للناس في غزّة؟

بل ما يقوله أهل غزّة يومياً، وما يُجسّدونه من مثالات مُلهمة. لنقف عند مفردة غزّيّة عظيمة، هي «النّدّار»، أحلى ما تنطوي عليه اللهجة الفلسطينية والغزّيّة، وكأنّهم - أي الفلسطينيّين - لهم فيها حياة وروح ورمزٌ مقاومة وحجر صامد كلّما نطقوها. «رُوحنا النّدّار»، «هدّموا علينا النّدّار»، النّدّار... يُشيرون إلى بيوتهم التي عمّروها بصبرهم ومُحيت من على وجه غزّة عقاباً على تمسّكهم بـ«النّدّار»، والتي تعني الأرض أيضاً. وغزّة الآن هي دارُ فلسطين، كُلّ فلسطين من البحر إلى النهر، فإن مُحيت راحت كلّ الدّار. الكيان الصهيوني المُحتلّ، يُريدُ محو غزّة، ليمحو معها الحقّين الفلسطينيّين الأساس: المُقاومة وحقّ العودة. فيمحو المقاومة ستموت فلسطين كارض تاريخية لأهلها، وتُعرض غزّة لاستعمار المُطبّعين الجُدد، وبمحو الأرض والمُطالبة بها، يُمحى حقّ العودة. فلا أرض حتّى يعود إليها الشعب، ولا مُقاومة تستردّ حقّ الشعب في العودة.

■ كلمة تقولها للإنسان العربي في كلّ مكان؟

نحنُ مقيمون في اللغة والتاريخ، وهنا تتمحور إشكاليّتنا العميقة، وتكبر صدمة تبدُّلات الهويّة التي تسقط على رؤوسنا يوميّاً. فالعربيُّ انتُقل من شتات القبيلة إلى تهشّم الدولة القومية المانعة وشتات المُهاجر، وظلّ كالجوّال التائه في الهويّات المُشتبكة، تستقبلهُ أديانٌ ومذاهب، وتسحقه انقلابات وبساطيل، وزبانية ولاءات بـ«فلوس» النفط. فتكسّرت اللغة وتدحرج التاريخ إلى قاع مأساوي. فتنضل العربيُّ وتبرّأ. حين يكبرُ المقموعُ على أحلام مبتَلة، تُصبح السماء الفسيحة كلّها سدّاً منيعاً من حديد. لذا يعيش العربيُّ اليوم نكبته العظمى ما بعد فلسطين، «نكبة الهويّة» وسؤال الذات المقموعة، وكلاهما جُرحان غائران في اللغة والتاريخ، في الراهن والمُستقبل؛ القبائلُ تحمل صنادلَ العهود والمواريث ووصفات الأعشاب اليابسة وعظام الأسلاف، وتريد النجاة إلى المستقبل.

كلّ هذه الصّدمات الحارقة التي تصهر حجر صوّان على مدى قرن ونَيّف، لم تُحرّك في العربي قُدرته الكامنة، ولم تستعجله ليلتقط الفرصة، ويصنع واقعاً قد يُمهّد إلى أجيال أكثر تعافياً، تملك القدرة على التشافي من الصدمة التاريخية والقمعية، لها استجابة المُساءلة والتعايش، وفيها اعتزازٌ باللغة والتاريخ، وقيمة التمسّك بالدّار والأرض، وتفتحُ الطريق إلى المستقبل، بشرط إزاحة قبائل الصحراء وإزاحة زُكام الدُّونية الكولونيالية، ربما كانت لحظة الربيع العربي انفراجة، لكنّها غاصت في الهويّات المُشتبكة نتيجة غياب المساءلة والتفكير.

■ حين سُئلت الطفلة الجريحة دارين البيّاع التي فقدت معظم أفراد عائلتها في العدوان: ماذا تريدين من العالم، أجابت «رسالتي للناس إذا بيجبوا دارين يكتبوا لي رسالة أو أي إشي».. ماذا تقول لدارين ولأطفال فلسطين؟

ليست لدارين وحدها من أطفال فلسطين وغزّة، وهي ليست بالجريحة، بل نحن هُم الجرحى. دارين هي صورة من يسمو على عجزه بقوّة الحياة. كيانٌ مُحتلّ وقوى كُبرى وحشيّة، تقصفُ داراً لأمنين، تطبيقاً لعدالة مُخزية تنتصر لقتلة ومحتلّين ومنتهكين، فتخرج الطفلة كالزهرة العتيدة والعنيدة من الرُّكام، لتُؤكّد بقاء الأرض وأهلها. أيّ رسالة أبلغ؟ الصارخ المُدجّجُ بالموت والمُدرَّعُ بالحديد يتهشّم أمام لطافة الزّهرة. هذه هي المُعادلةُ التي تخوض بها غزّةُ دارين وأهل الكوفيّات والأرض الحرب ضدّ الكيان المُحتلّ وداعميه، وينتصرون. الصوت الخفيض لدارين وهند وجوليا ومحمد ولي جاموس وكلّ أطفال غزّة خَرقَ صمت الكوكب، فانتفض العالم وجامعاته بطلبتها المقاومين الأحرار، وبدلاً من أن تُمحى دارين، اعترف العالم بفلسطين. تلك هي الرسالة، وهذه هي الاستجابة.

صفاء خلف

بطاقة

شاعر وصحافي استقصائي وباحث عراقي من مواليد البصرة عام 1982، ويقيم في النرويج. صدرت له مجموعتان شعريتان: «زنجي الأثر» (2012) و«قريباً من السطح عميقاً في الهواء» (2023)، ودراسة نقدية بعنوان «أقنعة القصب، دراسات سايكولوجية في قصيدة النثر» (2013)، وكتاب في الصحافة الاستقصائية بعنوان «العراق ما بعد داعش: أزمات الافراط بالتفاؤل» (2019). تُرجمت أعماله إلى لغات عدّة منها الانكليزية والفرنسية والفارسية.

إطلالة

ميشال أونفري والآخرون

قبيلة الأطفال الذهبيّين الصهيونية

جيشٌ كامل من «جنود الخفاء»... أطفالٌ ذهبيون يخدمون الصهيونية بغطاء فلسفي كما فعل قبلهم إيمانويل ليفيناس في شيطنة الفلسفة الألمانية

خالد النجار

فرنسا اليوم متخمة بالمتفلسفين الذين يكتبون بأسهال كبير يحسدهم عليه كبار الفلاسفة عبر التاريخ. ميشال أونفري الذي أطلق على نفسه لقب فيلسوف هو أحدهم. ميشال أونفري يكتب مثلما يتكلم، وبنفس السرعة. للرجل مائة وأربعون كتاباً؛ كما لو أنّه يملك جهازاً يُسجّل أدنى كلمة ينبس بها، وهو لا يترك أيّ صوت يصدر عنه يفلت من التسجيل الرقمي والمعالجة بواسطة الذكاء الاصطناعي، وهو كما لو أنّه لا يكفّ عن الكتابة حتى وهو يغطّ في النوم.

تستطيع أن تقول إنّه رائد الكتب الشفوية التي انتشرت اليوم. ولا يقلّ أيّ كتاب يُصدره عن مئتي صفحة؛ بحيث يبدو المسكين هيراقليطس إلى جواره ضئيلاً مثل الكائنات الميكروسكوبية بشذراته التي لا تتجاوز السبعين شذرة، والتي مضت عليها 2500 سنة وهي فاعلة وديناميكية في تاريخ الفلسفة الغربية، وكذلك إبيكتيكوس بشذراته الحكمية القليلة. كتبه كما وصفها عالم النفس الفرنسي نوربار شاتيون هي تنويعات ضخمة على ثيمات مقرّر طلبة الفلسفة بدعوى تقريب الفلسفة من الشعب؛ وفي هذا السياق أسّس سنة 2002 «الجامعة الشعبية». كتب الصحافي الفرنسي لوران جوفري أنّ أونفري اليساري يتنقّل ببير وبلا حياء من أقصى اليسار إلى أقصى اليمين. الثابت لديه هو الدفاع عن الصهيونية، وشيطنة الإسلام والمسلمين حتى أطلقوا عليه لقب دوّارة الريح؛ فهو يدور حيث تدور الرياح، وهو ينحت مفاهيم هي عبارة عن صياغات لغوية خاوية، أو كما يقول عنه لوران جوفران: يُثير أيّ موضوع أو قضيةٍ المهمّ أن يتحوّل ما يكتبه إلى رغوة... ينحت ألفاظاً وتراكيب بسوقها كمفاهيم، ومن خلال هذا النحت اللغوي يُمرّر مواقف سياسية تخدم أجندته الصهيونية. في الأخير أفكاره عبارة عن كائنات مختلقة ومتخيّلة، وقد يلتقطها أحد أساتذة الفلسفة في جامعة تونسية أو جزائرية أو مغربية، ويقدّمها لطلبته كأحد مظاهر فكر ما بعد الحداثة.

وعناوين كتبه تُحيل إلى عناوين كتب أساسية في تاريخ الفلسفة؛ مثل «رسالة في اللاهوت والسياسة» لسبينوزا أو «غروب الآلهة» لنيتشه، فيكتب «غروب المعبود» في نقد فرويد. والرجل في حقيقته صناعة من إنتاج الميديا. وهو لا يترك منبراً أو قناة تلفزيونية، أو قضية إلّا ويكون حاضراً فيها/ ولكنه يقضي وقته في تل ابيب، ويكتب أنّه صهيوني، وهي الثابتة الوحيدة لديه، فأوجد نظرية جديدة يقول فيها: «لقد دخلنا المرحلة الثالثة من معاداة السامية (...) اليوم جاء وقت صيغتها الجديدة وهي معاداة الصهيونية التي تسمح بدعوة كراهية شعب إسرائيل منذ عام 1948. هذه الفكرة التقطها ماكرون، وظلّ يكررها». ويقول في أحد تصريحاته التلفزيونية إنّه لابدّ من التخلّص الفيزيائي من أعداء «إسرائيل»، مبرّراً بذلك عملية التطهير العرقي في غزّة.

كلّ خطاب الرجل دفاع عن الكيان الصهيوني مغلّف بلغة فلسفية. وهو في هذا استمرارٌ لمن يُسمّون أنفسهم «الفلاسفة الجدد»؛ مثله مثل الفيلسوف الآخر الذي هو ليس بفيلسوف، برنار هنري ليفي، وقد عملا لفترة معاً، وكذلك الآن فينكلكروت الذي يدافع على الكيان الصهيوني ويدعو إلى قتل الفلسطينيّين مثل ميشال أونفري ولوك فيري. يُشهّر بالمسلمين ويأخذ على «حماس» كرهها «إسرائيل»، مما يعني أنّ على «حماس» أن تُحبّ «إسرائيل». هل أنا أحلم أم هذا هو الواقع؟

جيش كامل من جنود الخفاء كما نقول في تراثنا... أطفالٌ ذهبيون يخدمون الصهيونية بغطاء فلسفي كما فعل قبلهم إيمانويل ليفيناس في شيطنة الفلسفة الألمانية. وليفيناس مثل جيل كيبيل، مستشار الإليزيه الذي يسوّق نفسه مستشرقاً ولدى قراءة بعض ما كتب تكتشف مدى جهل الرجل باللسان العربي. جاء كيبيل إلى تونس، وسار وراءه الحداثيون التونسيون ليقبسوا من علمه، هُم أحفاد علي بن زياد الذي نشر المذهب المالكي من القيروان إلى قرطبة ووصل بهم الهوان الكولونيالي إلى الاستماع لهذا المخرَف. لقد كتب بعد أقلّ من ثلاثة أشهر من «طوفان الأقصى» كتاباً بعنوان «الهولوكوست في صيغة الجمع» (يقصد «طوفان الأقصى») كشف فيه عن وجهه الحاقد البشع.

ولوك فيري، الذي يهاجم بخبث الفاشي بن غفير وتنياهو لأنّهما لم يحافظا على صورة الصهيوني الضحية، هو أيضاً يسوّق نفسه فيلسوفاً، ويقول إنّ شقيقه فيلسوف هو أيضاً. وهكذا نشهد أوّل مرّة في التاريخ عائلة فلسفية في عصر عهر الميديا. كلّ شيء ممكن ومباح. أتذكّر امرأة تشتغل بالخياطة رشّحت نفسها للانتخابات الرئاسية في تونس. تونس بلد بورقيبة أوّل المطبّعين، والأستاذ يوسف الصدّيق أوّل من قرأ القرآن منذ أربعة عشرة قرناً، وهذا الرجل جزء من الحملة الصهيوغربية على الإسلام والمسلمين.

وأعود إلى لوك فيري الذي يذهب في البواخر لإلقاء محاضرات مدفوعة الأجر، ويشرف على رسائل طلبة تونس والجزائر والمغرب، ويرسلهم إلى «إسرائيل» دولة الديمقراطية والحداثة والتطهير العرقي... وهو سوقي، يشتم الشرطة في الشوارع ويقول لهم إنّه وزير سابق فيرفعون عليه قضية في المحاكم الفرنسية. وقد عيّن وزيراً ليضع برامج تشيطن الإسلام والمسلمين كما فعل زين العابدين بن علي ذات سنة عندما عيّن محمد الشرفي وزيراً للتعليم لإفراغ البرامج من كلّ ما يمتّ بصلة إلى الهوية العربية الإسلامية، وكان على تواصل دائم بالملحق الثقافي الفرنسي آنذاك جون كلود بيبيت الذي عرفتُه في بيت لوران غسبار، وحدّثني بكثير من الإعجاب عن الدور الذي يقوم به محمّد الشرفي في غسل عقول الأطفال التونسيّين من «دنس الرجعية الإسلامية»!

(شاعر ومترجم تونسي مقيم في أمستردام)

نحتُ لغوي يُمرّر مواقف سياسية تخدم الأجندة الصهيونية

ميشال اونفري في مدرسة ثانوية بالجزائر العاصمة، تشرين الثاني/ نوفمبر 2011 (Getty)

يوميات

ما مِن شعب محتلّ تحرّر إلّا بالدم والدموع

إتقان فنّ الصبر

لن يفهم اللصوص المسلّحون أيّ لغة من مشتقات التوسّل. اللصوص، كرمز للانحطاط البشري في كلّ عصور الاستعمار، لا يفهمون إلّا لغة الخسارة

باسم النبريص

فلسطين باعتبارها منذ قرن ونَيّف، وكراً للصوص، وغيرهم من الطفيليات، الذين ألقوا بالجثث المُسيّسة لأجدادنا وآبائنا في حفر مجهولة مثل اللّقطاء. أقولُ باعتبارها هذا وأكثر، يجب أن يحرص أهلها، على ألّا تكون مكاناً مُضيافاً لسارقيها.. ألّا تُوفّر لهم أمناً ولا راحة بال، وهكذا، دواليك، حتّى يرحلوا، مهما شحّ الزاد وأوحشت الطريق. بغير هذا، لن تستقيم الأمور. بغير القوّة، لن يفهم اللصوص المسلّحون من قدم لرأس أيّ لغة أخرى من مشتقات التوسّل. اللصوص كرمزٍ للانحطاط الثقافي والأخلاقي والبشري، في كلّ عصور الاستعمار، لا يفهمون إلّا لغة الخسارة وبهظ التكاليف. المقاومة وحدها جديرة بالثناء. المقاومة التي تتعامل بندّية مع الصهيونية الخانقة والمضخّمة، والتي تتّسم بالعنف المفرط غير المُبرّر.

المقاومة التي تقدّم قصصاً أو أوصافاً مختلفة تماماً، ولكن بشكل غير متساوٍ، وبرؤى تتراوح من الاتفاق إلى الرفض فيما يتعلّق بالصحّة والسكن والسياسة والموت. لقد تمّ تحليل هذا التأثير على نطاق واسع في السياقات المعرفيّة، طوال مسيرة التاريخ البشري، حدّ الوصول إلى خلاصات أكيدة: ما من شعب محتلّ تحرّر بالتوسّلات. ما من شعب مُحتلّ تحرّر إلّا بالدم والدموع ومراكمة الخسائر والانتصارات الصغيرة والصبر وإتقان فنّ الانتظار.

■■■

الحمد لله، إنّي لأشعر أنّ ظروف الحياة التي حصلت عليها (والداي، جذوري، والعيش في مخيّم لاجئين معدم) منحتني كلّ الفرصة لأكون قوياً. بالطبع هناك أوقات أشعر فيها بالكسر، ولكن عندما يبدو أنّه لم يبق شيء، أتذكّر كيف كدحت في الطفولة، فالفتوّة، فالمراهقة، فالشباب، فالكهولة، وبناءً على ما مضى من كتاب العمر، أجد القوّة كامنة وكاملة، حيث لا يوجد أيّ سَند حقيقي.

لهذا السبب، من ضمن أسباب معرفية أخرى، أنا لست هنا لإرضاء أيّ شخص أو نظام أو مؤسّسة. هنا فقط لإثارة شيء ما يتعلّق بمستقبل أفضل للبشر، وبالقيم العليا لسيرة ومسيرة الإنسان.

لا تنازُل عن مبدأ طبقي، ولا خضوع لمال أو منصب. إنّ مهمّة الفنّان هي زعزعة الأسس الثقافية والشخصية. قد يكون هذا غير مريح لمن يرغبون بالسلامة. قد يكون لمن لا يجدون حرجاً في استقرار الراحة كلاماً عفا عليه الزمن. لا يهمّ. إنّ شخصيتي الأولى أثرت عليّ للأبد.

لكنّي أشعر بالقوّة بداخلي، مهما تستشيط العواصف والنوائب. واعتقد أنّ مهمّتي هي نشر هذه القوّة بين سواد الناس، بمنأى عن بعض شريحة المثقّفين من باعة الضمائر، مقابل فتات المال ذي الرائحة، وديدنهم أنّ «القبول» هو وظيفة مدى الحياة.

نعم: كلّما كبرت، زهدت حتى في الضروريات. كلّما شخت، وثقت بمبادئي الأولى أكثر.

كلما طوّقت في آفاق القارّات، أصبح الأمر أكثر وضوحاً: أنا مع المظلوم ضد الظالم: مع الفقير ضدّ الغني، وهلمّ جرّا.

(شاعر فلسطيني مقيم في بلجيكا)

المقاومة التي تتعامل بندّية مع الصهيونية وحدها جديرة بالثناء

طفل فلسطيني أمام مبنى دمّرته قوّات الاحتلال أثناء قصفها منطقة تل السلطان في رفح، 7 أيار/ مايو 2024 (Getty)

فعاليات

عند الخامسة من مساء الجمعة، 14 حزيران/ يونيو الجاري، ينظّم «مركز الصفدي» في طرابلس شمالي لبنان طاولة مستديرة حول أعمال الروائي اللبناني **جبّور الدويهي** (الصورة)، لمناسبة صدور الطبعة الفرنسية من روايته الأخيرة **سمّ في الهواء**. من المشاركين في النقاش: **إسكندر نجّار** و**انطوان قربان** و**شريف مجدلاني**.

في ندوة تنظّمها «مكتبة تنمية» في القاهرة عند السابعة من مساء الخميس المقبل، يُناقش كلّ من الباحثين: **احمد سعد** و**سيّد حافظ** و**احمد سليمان** كتاب **الطاعون: الصورة والخيال، من العصور الوسطى إلى العصور الحديثة** لـ **كرستوس لنتيرس**، استاذ الانثربولوجيا الطبّية في «جامعة سانت اندروز» البريطانية. صدرت ترجمة العمل عن «دار البحر الاحمر للنشر» بتوقيع **احمد الشيمي**.

حتى غدٍ الاحد، تتواصل فعاليات الدورة الرابعة والعشرين من **مهرجان روتردام للفيلم العربي** في المدينة الواقعة غربي هولندا. يُشارك في الدورة 33 فيلماً؛ من بينها: «ماء العين» لـ **مريم جوبار**، و«يومين» لـ **باسل الخطيب**، و«وداعاً جوليا» (الصورة) لـ **محمد كردفاني**، و«ابي لم يمت» لـ **عادل الفاضلي**، و«مندوب الليل» لـ **علي الكلثمي**.

ضمن سلسلة «حوارات سينمائية» التي تُقام في «مؤسّسة عبد الحميد شومان» بعمّان، تُعقد عند الخامسة والنصف من مساء اليوم السبت جلسة بعنوان **الذكاء الاصطناعي والسينما**، يُقدّمها الباحث **نور الدين زهير**، ويتناول فيها العلاقة بين الطرفين و تطبيقات الذكاء الاصطناعي المستخدمة في صناعة السينما.